الموقف الغربي من شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم

بحث في العقائد للدفاع عن نبينا صلى الله عليه وسلم

الدكتور احمد عبد الرزاق خلف
جامعة الأنبار - كلية العلوم الإسلامية - قسم العقيدة

المقدمـــــة

الحمد لله الذي بعث محمداً هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً بإذنه وسراجاً منيراً . والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد،

فقد كثُرت الهجمات على الإسلام وأهله وقدوة الإسلام المتمثلة بشخص الرسول الكريم ﷺ ، حتى وصل الأمر بهم إلى الاستهزاء والسخرية ، وجعل شخصه الكريم جزءاً من رسوم كاريكاتيرية . تتداولها صحفهم الملعونة ، وأقلامهم المأجورة .

فرأيت لزاماً عليَّ أن أردَّ وأذبَّ عن رسول الله ﷺ بشيءٍ ممّا مكنني الله تعالى منه ، لأُعذر أمام الله تعالى أولاً وأمام رسوله وحبيبه ، نبينا وقدوتنا ﷺ ثانياً .

فوجب على كل مسلم أن يقدم ما يستطيع للدفاع عن النبي الأكرم الذي جعله الله تعالى سبباً في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

فأنت مطالب أيها الأخ الكريم بتقديم ما تستطيع للدفاع عن الإسلام ونبي الإسلام .

فجاء هذا البحث المتواضع جزأ من حملة الدفاع عن رسول الله ﷺ وقد قسّمته على مقدمة وأربعة مباحث مع خاتمة .

واسأل اللهَ العظيم أن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم وأن يعذرنا أمام نبيه ﷺ إنه سميع مجيب .

المبحث الأول
الإستهزاء والإيذاء والحرب الصليبية

المطلب الأول :تأريخ الإستهزاء والإيذاء لرسول الله ﷺ

لقد تعرض رسول الله ﷺ لكثير من الأذى والإفتراءات والسخرية والإستهزاء ؛ فقد وصفوه بالمفتري والكذاب والشاعر والمجنون ، وغير ذلك من الأوصاف المهينة ، واساءوا له بشتى أنواع الاساءات . من ذلك ما كان في بداية الدعوة . فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ : أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ؛ إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمّد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط) فجاء به فنظر ، حتى سجد النبي وضع على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر ، لا أغني شيئاً ، لو كانت لي منعة ، قال : فجعلوا يضحون ، ويحيل بعضهم على بعض (أي يتمايل بعضهم على بعض مرحاً وبطراً) ورسول الله ﷺ ساجد ، لا يرفع رأسه ، حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره ، فرفع رأسه ، ثم قال : (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات ، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم ، قال : وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ، ثم سمى : (اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط) – وعَدَّ السابع فلم نحفظه – فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب ، قليب بدر.(١) وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه . وفيه نزل : ((ويل لكل همزةٍ لمزةٍ)) سورة الهمزة[٢].

ومن ذلك يتبين أن الكافرين لم يكتفوا بالشتم والاستهزاء ، بل راحوا يضعون سلا الجزور – وهي أمعاء وقذارة الجزور – على ظهر رسول الله ﷺ ، ثم يتمايلون فرحاً بذلك ، ولكن الله لهم بالمرصاد ، فاحصاهم عدداً ولم يغادر منهم أحداً ، فقتلهم ببدأ ، وجعلهم صرعى في قليب بدر، ومعهم أمية بن خلف الذي همز ولمز ، والذي أنزل الله تعالى فيه آيات تتلى تنكيلاً به .

ثم يستمر أعداء الإسلام في إظهار حقدهم بين الحين والآخر ، وذلك من خلال تطاولهم على شخص الرسول الكريم ﷺ .

ففي عام ١٩٦٧م نشرت (صحيفة الأهرام) لرسام الكاريكاتير صلاح جاهين – عليه من الله ما يستحق – رسماً كاريكاتيرياً فيه بدوي – يقصد رسول الله والعياذ بالله – يركب حماراً في المقلوب كناية عن (الرجعية) وفي أرضية الصورة ديك وتسع دجاجات وعنون الرسم بـ (محمد أفندي جوز التسعة) فهذا هجوم سافر على شخص رسول الله الأكرم وزوجاته التسع أمهات المؤمنين[٣] .

وما كان نتاج ذلك إلا نكسة ١٩٦٧م التي جلبت الخزي والعار للدول العربية .

واليوم يظهر أعداء الإسلام من الصليبين واليهود حقدهم على الإسلام ونبيه فقد أعلنت صحيفة ((جيلاندز-بوسطن)) الدنماركية عن مسابقة للرسوم الكاريكاتيرية تمثّل الاستهزاء بنبي الإسلام محمدﷺ والسخرية منه واختارت(١٢) صورة من أقذر الرسوم التي وصلتها بالمسابقة تسخر من نبي الإسلام محمد ﷺ ، وذلك بعددها بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٣٠م ثم اصطفت إلى جانبها في المجتمعات الغربية صحف أخرى في كل من النرويج وفرنسا والمانيا واسبانيا وسويسرا والمجر ونيوزيلندا وبولندا ، فضلاً عن دول أوربية أخرى أذ أعادت نشر الرسوم الساخرة التي نشرتها صحيفة (جيلاندز بوسطن) الدنماركية بدعوى مساندة (حرية التعبير)[٤] وما ذلك إلا جزء من حربهم الصليبية اليهودية على الإسلام وأهله وعلى قدوته المتمثلة بالنبي الكريم ﷺ .

وسيتضح لنا في المباحث القادمة الأسباب التي أدت بهم إلى ذلك الأسلوب والدوافع التي ساقتهم لهذا الاتجاه المنحرف ، وطرق مقاومتهم إن شاء الله .

المطلب الثاني: الإساءة لرسول الله ﷺ هي جزء من الحرب الصليبية على الإسلام

لقد شن الغرب الصليبي حرباً على الإسلام منذ قرون طويلة ؛ ففي القرن الحادي عشر الميلادي وتحت شعار (القضاء على الإسلام) قامت الحروب الصليبية ضد المسلمين ونبيهم ، فمحمد ﷺ نبينا ورسولنا وحبيبنا في أدبيات وأفكار وعقائد الغرب الصليبي ، هو شيطان المسلمين وكذّاب ودجّال ومهرطق وما هو بنبي ، فيجب القضاء عليه ، وشغل الناس عن أقواله وأفكاره ، والعمل على نبش قبره وهدمه ما استطيع إلى ذلك سبيلاً ، ((قاتلهم الله أنى يؤفكون)) التوبة ٣٠ .

ورغم أن الحملات الصليبية الاستئصالية استمرت على المسلمين ما يقارب القرنين من الزمن ، إلا أنها فشلت في القضاء على الإسلام دين الله الذي تكفل بحفظه ((إنا نحن نزلنا الذكر ونحن له لحافظون)) الحجر ٩ ، فقضى الله على دولة الصليبيين على يد المجاهدين الأتراك الزنكيين (عماد الدين ونور الدين زنكي) ثم جاء من بعدهم المجاهدون الأيوبيون الأكراد (أسد الدين شيركوه) ثم (صلاح الدين الأيوبي) الذي صنع لنا مجد (حطين) ثم جاء من بعدهم المجاهدون (المماليك) الذين حطموا موجات (التتار والمغول) ثم أجهزوا على دولة الصليبيين في (معركة عكا) واستأصلوها نهائياً من ديار المسلمين وطهروها من دنسهم ، وعاد المسلمون أعزة بدينهم الذي هو عصمة أمرهم .

ولكن الصليبيين لم يستسلموا فقاموا بالانتقام لهزيمتهم بشن حرب صليبية على المسلمين في بلاد الأندلس ، الذين أصاب دولتهم الضعف والانهماك نتيجة تشرذمها إلى ما عُرف في تأريخ الأندلس بـ (دول الطوائف المتناحرة) وكانت نتيجة هذه الحرب الصليبية هزيمة المسلمين وطردهم من الأندلس وارتكاب ضدهم مذابح لم تعرف البشرية مثيلاً لها حتى الآن ، فأقاموا (محاكم التفتيش المرعبة) والتي أخذت التفتيش على المسلمين الموحدين لله ربِّ العالمين الذين جعلوا من الأندلس منارة علم وحضارة تضيء وسط الظلام التي تعيش فيه أوربا من أجل إكراههم على الارتداد عن دينهم ، وإن لم يفعلوا كان يتم ذبحهم وقتلهم بطريقة وحشية ، مما جعل سكّان الأندلس من المسلمين يفرون بدينهم ، وكان معظم المسلمين في الأندلس من سكان الأندلس الأصليين من الذين دخلوا في دين الله أفواجاً بقناعة تامة ، فعدد جيش الفتح الإسلامي الذي فتح الأندلس لم يتجاوز أثني عشر ألفاً .وقد بارك البابا يومئذ الانتصار الصليبي على المسلمين في الأندلس ، وشجعهم وحثّهم على الاستمرار في مطاردة المسلمين في بقية بلاد المسلمين من خلال شن حملات صليبية جديدة من أجل القضاء على الإسلام ، ولكن الله تكفل بحفظ دينه فسخرّ لدينه من يرفع راية التوحيد ويُبقيها خفّاقة ويدافع عنها ويحطّم الهجمات الاستئصالية الحاقدة السوداء . فكانت الدولة العثمانية الفتية القوية التي وقفت لهم بالمرصاد وكالسد المنيع فتحطمت أطماعهم على صخرتها العملاقة ، ففي الثلاثة القرون الأولى من عمرها اندفعت في أعماق أوربا الشرقية تتوغل بقوة كاسحة واندفاع فلم يقدروا أن يقفوا في وجهها ففتحت وسيطرت على القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، وأحاطت بفينا عاصمة النمسا عام ١٥٢٩م ، وأخذت الشعوب الأوربية التي خضعت لسُلطانها تدخل في الإسلام بالملايين . وهاهُم المسلمون موجودون في أعماق أوربا الشرقية إلى اليوم وهم لا يزالون يُسمونهم بالعثمانيين ، فمنهم (مسلمو البوسنة والهرسك ومسلمو ألبانيا وكوسافا ومقدونيا) ويوجد مسلمون في (بلغاريا وهنغاريا ورومانيا واليونان) وما المذابح البشعة الوحشية التي تعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك وكوسافا في عقد التسعينات من القرن الماضي إلا حلقة في سلسلة الحروب الصليبية المتصلة والتي يشنها الغرب على المسلمين منذ قرون[٥].

فالحقد على الإسلام ونبي الإسلام مستمر عندهم ويظهرون ذلك كلما سنحت الفرصة لذلك . ففي عام ١٨٩٨ وقف (جلاد ستون) رئيس وزراء بريطانيا يومئذ في مجلس العموم البريطاني وهو يرفع القرآن الكريم بيده قائلاً : (يجب تمزيق هذا الكتاب إذا أردنا أن نسيطر على المسلمين) فمزق الله مُلكه وأزال حكمه وحُكم الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس وأصبحت ذَنَباً لأمريكا .

وفي (مؤتمر المبشرين للغزو الفكري) الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦م وقف المبشر المشهور (زويمر) مُقرر المؤتمر يخطب قائلاً : (بعد أن عجزت جميع البعثات التبشيرية أن تحّول مسلماً واحداً عن دينه فليست مهمتنا تنصير المسلمين فهذا شرف ليسوا جديرين به ، ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام وفي ذلك نجحنا نجاحاً باهراً بفضل مدارسنا التبشيرية والسياسة التعليمية التي وضعناها للبلاد الإسلامية)[٦] .

وكل ذلك حاصل في مؤسساتنا التعليمية التي أصبحت تهتم بمظاهر وشكليات العلم فقط ، بعيدة مُبعدة عن الإبداع والتطور والتطوير . ناسية متناسية مبادئ وتعليمات ووصايا الدين الحنيف ، داعية إلى إقصاء كل الفقرات والنصوص – رغم كونها نصوصاً مقدسةً إلهية – التي تبين ما عليه أهل الكفر والإلحاد من الحقد والعداء للإسلام والمسلمين ونبيهم عليه الصلاة والسلام ، وكل ذلك بحجة تطبيع العلاقات ، والتعايش السلمي بين مختلف الناس رغم اختلاف عقائدهم .علماً أن أهل الكفر لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة ، ويعدّون الإسلام والحضارة الإسلامية هي الخطر الأكبر الذي يهدد كيانهم ووجودهم .

((وهذا ما تبين عن المؤتمر الذي دعا إليه رئيس وزراء بريطانيا في عام ١٩٠٧م (هنري بانرمان) وكان هذا المؤتمر بمثابة إعلان حرب صليبية على المسلمين ، وللأسف الشديد أن هذا المؤتمر غير مشهور عند المسلمين ولا يتطرق إليه لا في الكتب المدرسية ولا عند الكتاب ولا المفكرين ولا المثقفين فعليه تعتيم شديد والسبب واضح فلقد شكل هنري كامبل بانرمان في هذا المؤتمر لجنة من كبار أساتذة الجامعات في شتى المجالات مثل الإقتصاد والبترول والزراعة والتأريخ والإجتماع وشؤون الإستعمار ، كما ضمت هذه اللجنة أعلام السياسة في دول (فرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا واسبانيا وبريطانيا) وكان هناك بند واحد على جدول أعمال هذه اللجنة المنبثقة عن هذا المؤتمر : (ما هو الخطر الحقيقي الذي يُهدد الحضارة الأوربية ؟) فكان الجواب هو (الحضارة الإسلامية) ، التي تشكل وحدة واحدة عقائدياً ودينياً وفكرياً وثقافياً وتأريخياً وبشرياً وجغرافياً ، واستمر هذا المؤتمر أربعين يوماً تم البحث خلالها (كيف العمل للقضاء على هذا الخطر ؟) فكانت التوصيات تدعو إلى العمل على تدمير هذه الإمبراطورية الإسلامية .... والعمل على تجزئة وحدتها وتخريبها فكرياً وثقافياً))[٧] .وهذا ما يسعى الصليبيون إليه من خلال تدمير الدول الإسلامية وشغلها بالحروب والاحتلال وتدمير كل ماله صلة بالإسلام وبالقيم الإسلامية .

المبحث الثاني

الأسباب التي دعتهم إلى هذا الأسلوب السافر

المطلب الأول : من الناحية الفكرية .

أ- تصورهم العام عن الإسلام والمسيحية .

لقد كوّن الغرب فكرته عن الإسلام وعن نبي الإسلام من خلال مقالات رجال الكنيسة ، وهم الذين يُعد قولهم مقدساً . فقد لقنوا أتباعهم الكذب والإفتراء على دين الإسلام ونبيه ، وصوروا لهم أن الإسلام دين انتشر بالسيف واتباعه هم قُطّاع الطرق والسرّاق ، وأن نبيهم هو رجل اختلق كلمات سمّاها القرآن ، وجمع حوله تلك المجاميع من المنحرفين والعرب الأجلاف وأراد بهم أن يبسط نفوذه ويسيطر على أكبر المدن والحضارات في زمانه .

كما ويصورون لهم في الجانب المقابل ، حضارة الغرب أنها قائمة على التمدُن والحرية ، وأن الدين هو حرية شخصية بعيدة عن السياسة وشؤون الدولة والحكم .

ومن هنا أتخذ علماؤهم وكتّابهم أسلوب التهجم والتهكم والسخرية لكل ماله صلة بالإسلام . بل ويتجاوزون حتى يصل تطاولهم على مركزية الإسلام ونواته الأساسية المتمثلة بشخص النبي الكريم ﷺ .

ب- المقارنة بين شخص النبي ﷺ وشخصية السيد المسيح عليه السلام .

إن مبادئ الإسلام تؤكد على أن محمداً ﷺ هو عبد الله ورسوله ، أرسله الله عز وجل لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وأنه ﷺ عليه البلاغ وعلى الله الحساب .

فالله تعالى هو الذي يتولى أمر الناس وحسابهم ، فهو خالقهم ورازقهم والعالم بسرّهم ونجواهم . فمردُّ الثواب والعقاب إليه وحده . ليس لأحدٍ من خلقه في ذلك شيء .

أما الفكر الغربي فيرى أن لشخص السيد المسيح دور أساس وفعّال في حياة الناس . وذلك يتمثل في تقديم نفسه وروحه فدية عن خطايا الناس . هذه الفدية والتضحية المسبقة جعلت منهم مجتمعاً منحلاً بعيداً عن الأخلاق والقيّم .

فمن هنا يجعل الغرب المركزية في أعمال الناس وديانتهم تعود إلى شخص السيد المسيح الذي أضفوا عليه صفة الإلوهية .

بينما يرى الإسلام في شخص النبي عليه الصلاة والسلام أنه عبد الله ورسوله وأن الأمر كله بيد الله الخالق للناس والعالم بأحوالهم .

ج- اعتقادهم أن التقليل من شأن الأخر دليل كمالهم .

في كثير من الأحايين تتجه الطبيعة الإنسانية إلى ذكر عيوب ونقائص الطرف الأخر نوعاً من التقليل من شأن الأخر ، ظناً منه أن ذلك يؤدي إلى رفع شأنه أمام الآخرين ، حتى ولو كانت هذه العيوب والنقائص من قبيل الافتراء والتقوّل على الطرف المقابل .

وهذا ما يحاول الطرف الغربي اعتماده كأسلوب من أساليب التقليل من شأن الإسلام ، والافتراء عليه ، ومن ثم التعدي على رمز الإسلام وقدوة المسلمين نبينا محمد ﷺ . واتهامه بشتى الاتهامات الباطلة التي لا تنطلي على أحد . ولا يصدق بها عاقل ، ولا يقبل بها منصف . وما ذلك إلا اعتقاداً منهم أنهم أفضل الخلق ، وأكرمهم وقد ذكر القرآن ذلك : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (المائدة:١٨)،

ويرون أن العرب والمسلمين لا يعدون كونهم برابرة يسودهم الجهل ويحكمهم العنف ، فهم لا يصلحون أن يقيموا حضارة متكاملة قائمة على أساس الرقي الإنساني والتطور الفكري ، وغرّهم بذلك ما وصلوا

إليه من تطور صناعي في القرن السابع عشر الميلادي والثورة الصناعية . متناسين أن الإسلام وأهله قد سبقوهم بقرونٍ طويلة بإقامة حضارة قائمة على كل مقومات المدنيةً الحقيقية التي يسودها العدل والحق والإخلاص ويضبطها الشرع المنزل .
فالمقياس في الأفضلية يقوم على بناء الذات الإنسانية بكل جوانبها الأخلاقية والروحية والذوقية ، وليست في إنشاء المباني والصناعات . فاليعلم من له علم .

المطلب الثاني : من الناحية العملية

أ- ضعف المسلمين وتشتتهم

لقد مرت مواجهة الغرب مع الإسلام والمسلمين بمرحلتين
الأولى : وهي المرحلة القديمة التي أعقبت انتشار الإسلام ودخوله إلى بلاد كثيرة . هذه المرحلة التي عجز فيها أعداء الإسلام عن مقارعة الإسلام بالسيف وذلك لقوة المسلمين في ذلك الوقت ، فاكتفت بإثارة الفتن والقلاقل وإثارة الشبه حول الإسلام ونبيه ﷺ .
الثانية : وهي المرحلة الحديثة ، والتي أعقبت الثورة الصناعية في أوربا وهي التي دخل الغرب فيها ميدان التسليح والقوة العسكرية ، وما يقابلها من تراجع المسلمين ، وانحسار دولة الإسلام التي كانت مترامية الأطراف . والتي أصبحت دويلات مشتتة ومتفرقة ، زرع الغرب بينها التناحر والاختلاف . ليسهل عليه السيطرة عليها ونهب خيراتها وتدمير اقتصادها ، وتخريب معتقداتها وأفكارها وهذا ما فعله الاحتلال البريطاني والفرنسي من محاولة طمس الهوية الإسلامية وتغريب العرب المسلمين ، وما يفعله الاحتلال الأمريكي اليوم في العراق أدهى وأمر .
فضعف المسلمين وتشتتهم وضياع كلمتهم . أعطى لأعداء الإسلام الفرصة للتهجم والسخرية والإستهزاء بقيم المسلمين وقدوتهم العليا المتمثلة بشخص النبي ﷺ .

ب- ضعف الوازع الديني لدى الكثير من المسلمين .

بنظرة شمولية عامة تجد أن المسلمين مع كثرة عددهم وانتشارهم إلا أنهم وبكل أسف ينتسبون إلى الإسلام بالاسم فقط . فالكثير منهم لا يعرف من مبادئ دينه إلا القليل ، ولا يمتثل لأوامره إلا الأقل . فكم من مسلم لا يصلي وكم من مسلم لا يصوم وكم من مسلم لا يزكي ، وكم وكم ، مع أن هذه هي أركان الإسلام الأساس، فكيف بفضائل الأخلاق ومكارمه ، والتي يسمع عنها فقط ، ويقرأها ، ولا يجد لها وجود في حياته العملية إلا القليل النادر .

فالسؤال هنا ما السبب في ذلك ؟ مع أن مصادر الإسلام والتوعية أصبحت متوافرة أكثر من السابق
فالجواب هو في ضعف الوازع الديني لدى الكثير من المسلمين وغَيرتهم على هذا الدين والمحافظة عليه .
فتجد الكثير من المسلمين قد تركوا العبادات وانشغلوا بالملذات ، وتركوا شخصيات الإسلام الرائعة ، وأخذوا بشخصيات الترف التافهة ، وتشبهوا بأفراد الغرب من ساقطيهم وساقطاتهم ، وانساقوا وراءهم خطوة بخطوة .
وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : ((لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لوسلكوا جحر ضب لسلكتموه) قلنا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن))(٨) أي فمن يكون غيرهم .
وهذا التقليد الأعمى للغرب والإنسياق وراء أفكارهم وأخلاقهم، والإنبهار بحياتهم المادية . أدى في كثير من الأحيان إلى تخلي بعض المسلمين عن دينهم ولم يبقَ من إنتسابهم إلى الإسلام إلا الاسم ، وأدى عند البعض الآخر إلى السكوت حتى عندما يُهان الإسلام ونبيه ، وما ذلك إلا لضعف الوازع الديني المتمثل بالإخلاص لهذا الدين ونبيه ﷺ .

المبحث الثالث
نبوة محمد ﷺ عند المنكرين وعند المنصفين من غير المسلمين

المطلب الأول : نبوة محمد عند المنكرين .

أ- إنكار نبوة محمد ﷺ مكابرة للعقل .

إن الله تعالى جعل لكل نبي من الأنبياء آية ومعجزة تدل على صدق نبوته وان آية ومعجزة نبينا محمد ﷺ هو القرآن الكريم ، الذي أعجز الله به العرب الذين هم أهل البلاغة والفصاحة عن أن يأتوا بمثله أو بجزء منه ، فكان غيرهم من غير العرب أعجز .ولذلك آثر مشركو العرب الحرب بالسيف والمقارعة بالقوة لأن ذلك ممكن في حد تفكيرهم ، أما مقابلة القرآن فغير ممكنة .
ومن هنا نقول : إن القران الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبينا ﷺ قد استمر متحديا ومعجزاً على مدى القرون الطويلة الماضية ،وإلى اليوم ويستمر إلى قيام الساعة ، لم يستطع أحد على تغييره أو تحريفه ، هو آية صدق محمد ﷺ ، فإنكار نبوة محمد والتنقيص من شأنها ، إنكار للقرآن ، وإنكار القرآن مكابرة للعقل لأنه شاخص مشاهد أمام العيان ، فالعقل السليم المجرد عن الهوى يشهد بصدق محمد ﷺ وصدق القرآن ، ليس هذا فحسب بل إنكار نبوة محمد هو إنكار لنبوة الأنبياء جميعاً كما سيأتي .

ب- التشكيك بنبوة محمد ﷺ هو تشكيك بالأنبياء جميعاً

من المعلوم في علم العقائد ، هو أنها – أي العقائد – لا تثبت إلا بالدليل القطعي اليقيني ، وأنها لا تثبت بالأدلة الظنيّة(٩) . فنبوة محمد ﷺ ثبتت بالدليل القطعي المعجز ألا وهو القران الكريم ، المنقول بالتواتر جيلاً عن جيل ، المنزل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام . فالقرآن الكريم هو آية صدق نبينا ﷺ وهو قائم حتى اليوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو حجة على كل من أدركه ،أما بقية الأنبياء والرسل فلا يوجد دليل واحد قطعي على نبوتهم ورسالتهم إلا القرآن الكريم .

فهو الذي قصَّ علينا أخبارهم وأخبار أممهم ، فلولا القرآن لما ثبت عنهم شيء . فالإستهزاء بالقرآن أو النبي ﷺ وإنكار نبوته هو إنكار لنبوة الأنبياء جميعا ، وإنكار نبوة أي نبي من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القران يُعدّ كفراً عند المسلمين لأنه إنكار لما ثبت من الدين بالضرورة(١٠) .فأي عقل هذا الذي يحاول التقليل من شان صاحب الدليل الذي يثبت نبوة أنبيائهم - أي موسى أوعيسى لان الذين قاموا بهذا العمل المَشين هم من اليهود والنصارى – ألا يعلمون أن في ذلك هدم لمعتقداتهم وإنكار لنبوة أنبيائهم .

المطلب الثاني : النبي محمد ﷺ عند المنصفين من غير المسلمين

لقد أبهرت شخصية النبي محمد ﷺ الكثير والكثير من غير المسلمين والذين نظروا إلى سيرته بعفوية تامة وموضوعية منصفة .

ومن هؤلاء (الدكتور نظمي لوقا) وهو من أقباط مصر والذي ألّفَ كتابين عن محمد ﷺ سمى الأول (محمد الرسالة والرسول) والثاني (محمد في حياته الخاصة) والشخصية الثانية هو (نصري سلهب) وهو من مسيحيي لبنان والذي ألف كتابين أيضاً الأول (لقاء المسيحية والإسلام) والثاني (في خُطا محمد) .
وغيرهم من المفكرين والشخصيات التي ذكرت نبينا ﷺ بشيء : من الإنصاف .

فنبدأ بالدكتور نظمي لوقا الذي يقول : ((ما كان محمد كآحاد الناس في خلاله ومزاياه ، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل وهمة البطل فكان حقاً على المنصف ان يكرم فيه المثل ويُحيي فيه الرجل)) (١١).

ويقول:((أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من أبي القاسم ، الذي حوّل الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين ، ومن الضياع والإنحلال إلى السمو والإيمان ، ولم يفد من جهاده لشخصه شيئا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام))(١٢).

أما(نصري سلهب) وهو الرجل المسيحي فيقول عن النبي محمد ﷺ :((من يمعن التفكير في سيرة هذا الرجل يرَ نفسه منساقاً إلى الإقرار بأن ما حققه وقام به يكاد يكون من الدنيا غير التي يعرفها البشر .

ويقول : غدا أسم محمد أشهر الأسماء طُرّاً وأكثرها ترداداً على الشفاء وفي أعماق القلوب وحسبه شهرة وترداداً أن ملايين المؤمنين في العالم يؤدون كل يوم اكثر من مرة ، شهادة مقرونة بإسم الله وبإسمه .

ويقول أيضا : إن محمداً كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ، فإذا بهذا الأمي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية ، منذ كانت الإنسانية ، ذاك كان الكتاب الذي أنزل الله على رسوله))(١٣) .

وهذا (مهاتما غاندي) شخصية الهند الأولى يقول في حق النبي ﷺ :(أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر .

لقد أصبحت مقتنعاً أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته . هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف . بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة) (١٤). ومن خلال هذه المقالة يتبين أن مهاتما غاندي اكتشف بكل بساطة أن الإسلام لم ينشر بحد السيف ، وإنما بأخلاق نبيه وأخلاق الصحابة والتابعين لهم من المؤمنين الصادقين الذين أوصلوا الإسلام إلى آخر بقاع الدنيا .

أما الدكتور (زويمر) فيقول عن شخصية النبي ﷺ : ((إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً ، ومفكراً عظيماً ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتأريخه يشدان بصحة هذا الإدعاء))(١٥) وهذا يؤكد أن أولئك الذين أخذوا يتعاملون مع مفردات السيرة من الخارج وجدوا أنفسهم يقفون بعفوية بالغة ، وجهاً لوجه ، أمام حقائق هذه السيرة في صفائها العجيب ، وقدرتها الفذة على التأثير .وهذا ما دفع الدكتور زويمر إلى استنكار كل قول ينافي صفات النبي الكريم التي يتصف بها وعدم جواز نسبة أي صفة تخالف ما ثبت له من الصفات وهذا رد على كل من حاول المساس والإساءة لشخص النبي ﷺ بل يعد من أبلغ الردود لأن الفضل ما شهدت به الأعداءُ .

المبحث الرابع
واجب المسلمين أمام هذه التحديات

واجب المسلمين أمام هذه التحديات يضع على عاتقهم عدة مسؤوليات

المطلب الأول : المسؤولية الجماعية

ليست المشكلة في أن حفنة من سفهاء الناس اختارت لنفسها أن تنبح وتنهق علناً على النبي الكريم محمد ﷺ ، تنبح ضد الصدق والأمانة والفضيلة والخلق العظيم ، ولكن الطامة الكبرى أن هذا الجرم الشنيع ضد الرسول ﷺ وضد الإسلام لقي إقراراً وتبريراً لدى قيادات المجتمعات الغربية الرسمية بحجة حرية التعبير (١٦) .

ولذلك يجب أن يكون الرد عليهم بصورة جماعية وبصورة فردية ، فهو مسؤولية الفرد والجماعة ، وفي مقدمة هذه الجماعة الحكومات والمسؤلين عن إدارة شؤون المسلمين ، وفيما يأتي بعض أساليب الرد الجماعي .

١- يجب أن تتخذ حكومات الدول الإسلامية موقفاً موحداً للرد على هذه الهجمة الصليبية الحاقدة من خلال

مقاطعة الدول التي أساءت لمعتقدات المسلمين . مقاطعة اقتصادية وسياسية وفي كل المجالات .

٢- تبنّي جميع دوائر الثقافة في جميع سفارات الدول الإسلامية في كل الدول الغربية لبرامج التوعية الإسلامية والتعريف بدين الإسلام وشمائل النبي الكريم ﷺ ، فانهم يقومون على الدوام بإظهار تراث دولهم والتغني بموروثاتهم أمام الغرب ، فالأولى أن يظهروا الإسلام الذي هو سبب في تلك الحضارات وميراثها .

٣- يجب أن يكون هناك دور للمسلمين في الإعلام الغربي ، من خلال نشر الصحف والمجلات بلغات متعددة ، وفتح قنوات فضائية مختصة بشؤون المسلمين تعني بنشر السيرة النبوية وشمائل الرسول الكريم ﷺ .

٤- إنشاء قاعدة بيانات على الشبكة العالمية الانترنيت ، عن السيرة النبوية وبجميع اللغات ، ولا يخفى ما لهذه الشبكة من انتشار واسع في جميع أنحاء العالم ، على أن يقوم بذلك نخبة من المتخصصين في السيرة النبوية ، ونخبة من المتخصصين في مجال الإعلام (١٧) .

٥-إقامة مؤتمرات عالمية إسلامية توضح فيها سماحة الإسلام ويسر دين النبي ﷺ ، وأن ما يوجد ضد النبي ﷺ إنما هو من قبيل الكذب والإفتراء ،

٦- إقامة معارض دولية متنقلة ودائمة في المطارات وفي الأسواق وفي الأماكن العامة بالتنسيق مع الجهات المسؤولة حتى تبرز شيئاً من شخصية النبي ﷺ في حياته وأخلاقه وشمائله .

المطلب الثاني : المسؤولية الفردية

أما المسؤولية الفردية التي تقع على عاتق كل منا فيمكن أن نجملها بعدة خطوات وبعض الإجراءات التي يمكن أن يقوم الفرد ولو بجزء منها ، بعد تعلم الأدلة من القران والسنة الدالة على وجوب طاعة النبي ﷺ ، والأمر بإتباعه والاقتداء به ﷺ .

١- استحضار النية الصادقة واستدامتها لنصرته ، والذب عنه ﷺ .

٢- بغض أي منتقد للنبي ﷺ أو سنته .

٣- إستحضار عظيم فضله وإحسانه ﷺ على كل واحد منا ، إذ انه هو الذي بلغنا دين الله تعالى أحسن بلاغ وأتمه وأكمله.

٤- عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به إليه ﷺ بعد فضل الله تعالى ومنته ، إذ كان هو ﷺ سبيلنا وهادينا إليه ، فجزاه الله خير ما يجازي به نبياً عن أمته .

٥- الالتزام بأمر الله تعالى بالتأدب معه ﷺ ومع سنته بقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)) (الحجرات:٢)

٦- الحرص على الإقتداء به ﷺ في المستحبات ، ولو أن نفعل ذلك المستحب مرة واحد في عمرنا حرصًا على الإقتداء به في كل شيء .

٧- الفرح بظهور سنته ﷺ بين الناس .

٨- نشر سيرة المصطفى ﷺ وشمائله قدر المستطاع سواء كان ذلك عن طريق إنشاء موقع الالكتروني خاص أو شريط تسجيل أو خطب منبرية لمن كان خطيباً .

٩- تحذير الناس من مخاطر الدعوات الحاقدة والاستفزازية ضد الإسلام ونبيه ﷺ .

١٠- دعوة الناس إلى مقاطعة المنتجات التي تنتجها الدول التي أساءت للإسلام ونبيه ، كجزءٍ من ردة فعل إسلامية ولبيان ثقل المسلمين في الاقتصاد العالمي .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على رسول الله المجتبى ، وبعد : لم يكن الإسلام يوماً ديناً يدعوا إلى الحقد أو الكراهية أو الإستهزاء أو السخرية من أحد بل على العكس من ذلك ، فإن الإسلام دين تسامح ودين محبة ودين مساواة وعدالة إلى غير ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق .

ولكن أعداء هذا الدين من الجاهلين والحاقدين ، يحاولون وبشتى الوسائل أن يطعنوا بهذا الدين ، وينتقصوا من فضائله ، ويتجاوزوا على رمز هذا الدين المتمثل بالنبوة القائمة بشخص رسول الله ﷺ .

ولكن الله تعالى متمُّ نوره ولو كره المشركون . وليعلم كل من تجاوز أو يحاول أن يتجاوز على هذا الدين ونبيه الكريم أن عاقبته ستكون وخيمة ، ونهايته ستكون قريبة . قال تعالى : ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (المائدة:٣٣)

وهذه سنة الله في خلقه ، فلا فوز ولا نجاة لمن يحارب الله تعالى ويتعدى على الإسلام ونبيه ﷺ .

الهوامش

١- صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب إذا ألقي على المصلي قذر أو جيفة ، ٣٧/١ ، رقم (٢٤٠ ، ٥٢٠)
٢- انظر الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص١١٣ .
٣- انظر مقالة الحرب الصليبية والإساءة لرسول الله ﷺ ، بقلم محمد اسعد بيوض التميمي .
٤- انظر مفكرة الإسلام المنشورة على موقع WWW.ALNABY.COM .
٥- الحرب الصليبية والإساءة لرسول الله ﷺ . محمد أسعد بيوض التميمي .
٦- انظر المقالة السابقة .
٧- المقالة السابقة نقلاً عن وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني ، د. سمير أيوب .
٨- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٢٧٤، حديث رقم (٦٨٨٩) واللفظ له وانظر صحيح مسلم ج٤ ، ص٢٠٥٤ ، حديث رقم (٢٦٦٩) .
٩- أصول الدين الإسلامي . أ.د. قحطان الدوري ص١٤ .
١٠- شرح العقيدة الطحاوية . ج١ ص٣٤٣ .
١١- انظر مقالة (شيء مما يقوله الآخر عن رسول الله ﷺ) أ.د. عماد الدين خليل ، نقلاً عن كتاب محمد الرسالة والرسول ، نظمي لوقا ص ٢٨
١٢- انظر المقالة السابقة . نقلاً عن (محمد في حياته الخاصة) نظمي لوقا ص ١٤ .
١٣- المقالة السابقة نقلاً عن (في خُطا محمد) نصري سلهب ص٤٢ و٩٤ و ١٩٥ .
١٤- انظر مقالة (الرسول في عيونهم) .
١٥- المقالة السابقة .
١٦- محمد رسول الله ، أ.د. منير البيّاتي ص٢٢ .
١٧- انظر المقالة (كيف ننصر الرسول ﷺ) سلمان بن يحيى المالكي.

المصادر والمراجع

١- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧ .
٢- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء ، مصر ط٢ ، ٢٠٠٠م .
٣- محمد رسول الله ﷺ، أ.د. منير البياتي ، دار النفائس ، الأردن ، ط٣، ٢٠٠٦ م .
٤- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٥- أصول الدين الإسلامي ، أ.د. قحطان عبد الرحمن الدوري ، دار الفكر ، عمان الأردن ، ط١ ، ١٩٩٦ .
٦- شرح العقيدة الطحاوية ، القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، تحقيق وتعليق د. عبد الله التركي ، والشيخ شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٧- محمد الرساله والرسول ، نظمي لوقا ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
٨- محمد في حياته الخاصة ، نظمي لوقا ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
٩- في خُطا محمد ، نصري سلهب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م
١٠- شيء مما يقوله الآخر عن رسول الله ﷺ . أ.د. عماد الدين خليل . مقالة منشورة على موقع صيد الفوائد www.saaid .net .
١١- الرسول في عيونهم مقالة منشورة على موقع (رسول الله) www.rasolallah.com .
١٢- الحرب الصليبية والإساءة لرسول الله ﷺ . محمد اسعد بيوض التميمي ، مقالة منشورة على موقع www.nosra.com .
١٣- كيف ننصر الرسول ﷺ سلمان بن يحيى المالكي ، مقالة منشورة على موقع SLMAN_955@HOTMAIL.COM و WWW.NOSRA.COM .
١٤- مفكرة الإسلام المنشورة على موقع WWW. ALNABY.COM